Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (6), Issue (2): 30 June 2020
P: 12 - 32

ISSN: 2518-5780

مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (6)، العدد (2): 30 يونيو 2020 م
ص: 12 - 32

The Argumentation in the Message of Sahl Bin Haroun to his Cousins of AL – Rahboon

Ahmad Abdalkareem Al- Molqi
The Islamic Sciences University || Amman || Jordan

Abstract: The research aimed to study the persuasive and Argumentation mechanisms followed by Sahl Bin Haroun in his message to his cousins, when they blasphemed his doctrine in miserliness, by defending his position on miserliness, generosity, and economics. The research used the descriptive and analytical method based on linking what was stated in the letter of Sahl Bin Haroun to the social reality experienced by Bin Haroun. The research found that the message of Sahl ibn Harun, a text of Hajjaji par excellence, took the character of persuasive, argumentative, persuasive argument, dialogue, simplification of arguments, presentation of claims, and brilliantly violating them to his opponents from his cousins.

Keywords: Argumentation, Message of Sahl bin Haruon, AL – Rahboon, Persuasion, Deliberative.

الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمومته من آل راهبون

أحمد عبد الكريم الملقي
جامعة العلوم الإسلامية العالمية || عمان || الأردن

الملخص: هدف البحث إلى دراسة آليات الحِجَاج الإقناعية والجدلية التي اتبعها سهل بن هارون في رسالته لأبناء عمومته من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل، وذلك من خلال دفاعه عن موقفه من البخل ومن الكرم ومن الاقتصاد، استخدم البحث المنهج الوصفيّ التحليلي المستند إلى ربط ما جاء في رسالة سهل بن هارون بالواقع الاجتماعي الذي عاشه ابن هارون. وتوصل البحث إلى أنَّ رسالة سهل بن هارون نص حِجَاجي، اتّخذت طابع الحِجَاج العقلي الجدلي الإقناعي، والحوار وبسط الحجج وتقديم الدعاوى ونقضها ببراعة واقتدار لخصومه من أبناء عمة من آل راهبون.

الكلمات المفتاحية: الحِجَاج، رسالة سهل بن هارون، آل راهبون، الإقناع، تداولية.

المقدمة

يُعد الحِجَاج آلية خطابية إقناعيه لدى الإنسان يمارسها مع الآخرين؛ دفاعاً عن أفكاره ومعتقداته وطباعه، عارضًا أو مفندًا أو محاورًا أو مقنعًا، بل إنه فعل علائقي يبرز به صاحبه أنماط أفعاله بالحجة والبرهان بشكل طبيعي وفعَّال عبر شبكة من الأقوال، أو التعابير الحاملة لصورة حِجَاجيه تستجيب لأهداف تأثيرية في المخاطبين أفراداً وجماعات، ولو استطاع المحاجج أنْ يضرب على أوتار عواطف المتلقين فإنه سيكون قادراً على إقناعهم بأفكار بعينها، إلا أنَّ غاية الحِجَاج الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه للعمل أو يهيئه للقيام به.

فقد شهدت الرّسائل الفنيّة بأنواعها نهضة جليّة بداية العصر العباسي، فأصاب هذا الفنّ النثري تطوّرًا واسعًا في المحتوى والأسلوب على السّواء، وتمثَّل هذا في تنوّع اتجاهاته ومضامينه، ولا شكّ في أنّ تطوّر المجتمع العباسيّ

ساعد على بروز هذا الفنّ، وممّا يبرهن على هذا كّله كثرة الكتّاب الذين شاركوا في موضوعات عدة، أدبيّة واجتماعيّة وسياسيّة.

لذلك حظيت الرّسائل العباسيّة بمنزلة عظيمة، فغدت من أهمّ فنون النثر العباسيّ، وصارت صورة دالة على مظاهر الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والأدبيّة. وبالتالي، فإنَّ رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمومته من آل راهبون مدافعاً فيها عن موقفه من البخل والكرم والاقتصاد، والتي تهدف كأي نص أدبي إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، ارتأى الباحث أنْ يجعل منها موضوعاً للدراسة والبحث، للوقوف على الجانب الحِجَاجي والإقناعي لهذا النص الأدبي.

وقد وردت الرسالة في نسختها المشهورة أو الوحيدة في مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ (ت 255هـ)، وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت 328هـ) الذي قد يكون نقلها بدوره عن الجاحظ؛ لأنه لا خلاف يذكر بين النَّصين.

وقد أشار قحطان الفلاح في دراسته، المعنونة بـ"البخل في النثر العربي" إلى أنَّ رسالة سهل بن هارون هي رسالة "البخل"؛ استنادًا إلى اصطلاح القدماء على تسميتها، ووصف لها بأنّها دليل إدانة لصاحبها بالبخل؛ إذ عدَّت شاهد صدق على بخله من ناحية، وعلى شعوبيته ضد العرب من ناحية أخرى[1].

مشكلة البحث وأسئلته

تتحدد إشكالية البحث في الأسئلة التالية:

1. هل هناك أسلوب حِجَاجي في رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمه؟
2. هل انتهج سهل بن هارون الإقناعية كوسيلة خطابية؟
3. ما أهم الآليات الحِجَاجية التي اتبعها سهل بن هارون للإقناع والتأثير في موقف أبناء عمه منه؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

1. بيان الأسلوب الحِجَاجي في رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمه.
2. توضيح كيف انتهج سهل بن هارون الإقناعية كوسيلة خطابية.
3. تحديد أهم الآليات الحِجَاجية التي اتبعها سهل بن هارون للإقناع والتأثير في موقف أبناء عمه منه.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تناوله آليات الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمومته وتحليل مضمونها، والولوج إلى عناصرها، وملامح أساليبها وآلياتها الحِجَاجية والإقناعية للمتلقين وهو ما قد يفيد المهتمين والباحثين في الموضوع، بالاستفادة من أساليب الإقناع كوسيلة في الحوار والتأثير على المخالفين بدلا من العنف.

منهج البحث

اتبع المنهج الوصفيّ التحليلي المستند إلى ربط ما جاء في رسالة سهل بن هارون بالواقع الاجتماعي الذي عاشه ابن هارون. تكوَّن البحث من مبحثين وعناوين فرعية لكل مبحث، وخاتمة، تناول المبحث الأول: تعريف بسهل بن هارون، والحِجَاج، وتعريفه، وآلياته، وتناول المبحث الثاني: تحليل آليات الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون.

(1) الفلاح، قحطان صالح: البخل في النثر العربي، **مجلّة جذور**، جدة: النادي الأدبي الثقافي بجدة، م 17، ع 21، 2005، ص512-252.

الدراسات السابقة:

تمكَّن الباحث من الاطلاع على بعض الدراسات السابقة القريبة من البحث، ومن بين هذه الدراسات:

1- دراسة بعنوان: "آليات الحِجَاج في خطبة حجة الوداع للنبي صلى الله"، أطروحة دكتوراه، خديجة دكمة، جامعة قاصدي مرباح (2016)، الجزائر. اهتمت بدراسة خطبة حجة الوداع بالدراسة بناء على النظرية الحِجَاجية التي ترمي إلى رصد جمالية التعابير الحجية التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في فهذه الخطبة الخالدة والعصماء.

2- بحث بعنوان: " نشأة الحِجَاج"، حامد ناصر الظالمي، مجلة آداب جامعة البصرة، 32(72)، 1- 22. 2015. اهتم الباحث بدراسة نشأة الحِجَاج مفهوماً وممارسة في البيئة اليونانية، وعلى وجه التحديد صقلية في القرن الخامس قبل الميلاد نتيجة الخطابات السفسطائية حول ملكية الأراضي.

3- دراسة بعنوان: " الدَّرْس الحِجَاجيّ في نظريّة تحليل الخطاب، دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف من خلال تفسير ابن عاشور"، خالد الدلكي، ومحمود أبو دلو، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، 21(3)، 35- 52، 2015. تعرَّض البحث للدرس الحِجَاجي داخل نظرية تحليل الخِطاب، وكيفية عمل أدواته في الخِطاب بإعمال اللُّغة وما هو خارج اللُّغة، اتَّخذ البحث من سورة يوسف مدونة يتقصى فيها "اشتغال الحِجَاج في الخِطاب" من خلال "ابن عاشور" في تحريره وتنويره.

4- دراسة بعنوان: " رسالة سهل بن هارون في البخل"، جمال مقابلة، مجلة اتحاد الجامعات العربية، 16(1)، 75- 93، 2019. تناولت الدراسة رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمومته من آل راهبون.

5- دراسة بعنوان: " فن الرسائل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة دراسة موضوعية فنية موازنة"، فائدة محمود سلمان، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة النجاح، 2011. تناولت رسائل كل من سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة من الناحية الموضوعية والفنية، ثم عقدتُ مقارنة بينهما في كلّ قسم، وبدأت كل قسم برسائل سهل الأدبيّة، ثمّ رسائل عمرو الأدبيّة أيضاً، فالقسمِ الثّاني فالثّالث على النهج نفسه، وفي هذا الفصل تناولتِ الدراسة بعض فنونهما البديعية، وأسلوبهما الفني، وختمت هذا الفصل بدراسةِ الصّورة الفنيّة في رسائلهما.

6- دراسة بعنوان: " الحِجَاج في النص القرآني"، هاني يوسف أبو غليون، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، 2018. تناولت الدراسة إلى دراسة ظاهرة الحِجَاج في النَّص القرآني، من منطلقاته المنطقية والبلاغية والتداولية؛ لإظهار أهم آليات النظرية الحِجَاجية وتقنياته التي تصل بالنص الخطابي لأعلى درجات التفاعل والتواصل بين متكلمه ومتلقيه.

7- دراسة بعنوان: "البخل في النثر العربي"، قحطان فلاح، بينت الدراسة أنَّ رسالة سهل بن هارون بأنّها رسالة البخل "استنادا إلى اصطلاح القدماء على تسميتها، ووصف لها بأنّها دليل إدانة لصاحبها؛ إذ عُدت شاهد صدق على بخله من ناحية، وعلى شعوبيته ضد العرب من ناحية أخرى [(2)].

التعقيب على الدراسات السابقة:

وبعد استعراض ما تقدم من دراسات، يتبين أنها اهتمت بدراسة الحِجَاج وآلياته سواءً في النص القرآني، أو النثر الأدبي، فقد اهتمت دراسة جمال مقابلة (2019) بتحليل التعابير الحِجَاجية في رسالة سهل بن هارون، بينما

(2) ابن العبري، أبي الفرج جمال الدين: **تاريخ الزمان**، بيروت: دار المشرق، 1986، ص 67.

تناولت دراسة فلاح القحطان (2005) البخل في النثر العربي، واهتمت دراسة فائدة سلمان (2011) بدراسة رسائل سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة من الناحية الموضوعية والفنية، ثم عقدتُ مقارنة بينهما في كلّ قسم. ويتفق البحث الحالي مع الدراسات التي اهتمت بدراسة الحِجَاج في النثر الأدبي، كدراسة كل من: (فلاح القحطان، 2005؛ وفائدة سلمان، 2011؛ وجمال مقابلة، 2019). وما يميز البحث الحالي عما سبقه من دراسات في تناوله آليات الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمومته وتحليل مضمونها، والولوج إلى عناصرها، وملامح أساليبها وآلياتها الحِجَاجية والإقناعية للمتلقين.

المبحث الأول: سهل بن هارون، والحِجَاج، وتعريفه، وآلياته

سهل بن هارون بن راهبون (ت 215هـ – 830)، ويُكنى أبا عمرو الدستميساني من أهل نيسابور، كاتب، بليغ، حكيم، ولد في مدينة: "قيسان" بين واسط والبصرة، وفي رواية في دَسْتميسان بين الأهواز وواسط والبصرة، فارسي الأصل، أهوازي أو حوزي المولد، عراقي المنشأ، تحول إلى البصرة وكانت البصرة إذ ذاك مدينة العلم في الدولة الإسلامية، وقبة الإسلام وخزانة العرب [(3)].

كان سهل بن هارون متعصباً لفارسيته، شعوبياً معادياً للعرب متعقباً لمثالبهم، وعرف بالذكاء وسرعة البديهة، مع حافظة تكتنز من المعرفة وفنون الآداب والحكم ذخيرة لا تنفد.

حمل سهل إلى الثقافة العربية ثقافة قومه وثقافة اليونان، وانضم في البصرة إلى أهل الكلام والاعتزال، وصحبهم، ولازمهم كذلك ببغداد عند انتقاله إليها، وكان أول من اتصل بهم من الرؤساء ببغداد الفضل بن سهل وزير المأمون، وهو الذي قدمه للخليفة، فأعجب به وببلاغته، وبواسع اطلاعه، ومعرفته بكثير من العلوم، ولهذا جعله خازناً على دار الحكمة التي جُمع فيها كثير من كتب الأوائل، ومن مؤلفات اليونان مما استقدمه المأمون من بلاد الروم البيزنطيين [(4)].

وروي أنه كان نهاية في البخل، وله نوادر تحكى في ذلك، وألف رسالة في مدح البخل للفضل بن سهل، وأهداها للحسن بن سهل، فقال له: "لقد مدحت ما ذمه الله".

قال عنه الجاحظ: "ما علمت أن أحداً جرد في البخل كتاباً إلاّ سهل بن هارون وأبا عبد الرحمن الثوري" [(5)]، والبخل في الفرس غالب في الجملة أغلبية الكرم على طبائع العرب.

يرى أحمد أمين أنَّ سهل بن هارون وضع رسالته المشهورة في البخل، ولعل ذلك منه نزعة شعوبية؛ لأنَّ العرب كانوا يمتدحون كثيراً بالكرم، ويعدّونه من أكبر مناقبهم، كما اشتهر الفرس بالبخل، فوضع سهل هذه الرسالة يقلّب فيها قيمة الكرم والبخل، ويَعُد الكرم رذيلة والبخل فضيلة [(6)]،

من مؤلفات سهل بن هارون: ديوان رسائله، وكتاب "النمر والثعلب"، حققه وقَدّم له وترجمه إلى الفرنسية عبد القادر المهيري، وكتاب "ثعلة وعفرة"، وكتاب "الإخوان"، وتدبير الملك والسياسة"، وله رسالة مشهورة في البخل أرسلها إلى بني عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل [(7)].

---

(3) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط7، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998، ص 271.

(4) المهيري، عبد القادر، **النمر والثعلب لسهل بن هارون**، تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1973، ص 1- 26.

(5) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البخلاء**، ضبط وشرح وتصحيح أحمد العوامري وعلي الجارم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1987، ص 102

(6) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1979، 1/ 173.

(7) كُرد، محمد علي: **أمراء البيان**، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، 1937، ص234.

1. المعنى اللغويّ للحِجَاج:

يرصد "ابن منظور" [8] للفظة "الحِجَاج"، عددًا من المعاني (ابن منظور، مادة "حجج")، تشكّل في مجموعِها الإطار العامّ للحِجَاج، بوصفه جِدالًا بين متخاصمَين، يحقق أحدُهما الغَلَبة على الآخر بالدليل والبرهان (الحجّة). وهذا يعني أنّ الحِجَاج، بما يقربنا من مفهومه النظريّ: مبنيّ على الاختلاف، ممّا يولّد الخِصام، وتفاعليّ، لا يكون إلا في التواصل، فهو موجّه إلى خَصم. ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: "حجج: احتج على خصمه، وحاج خصمه فحجه [9]، فالزمخشري حصر الحِجَاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظَّفر، والحِجَاج عند القدامى يحمل طابع المنازعة والخصومة نظرا لما يحدث بين شخصين من محاورة. فالحِجَاج علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع. وتجدر الإشارة إلى أنّ المعنى اللغويّ للحِجَاج في العربية لا يختلف عنه في اللغات الأخرى، لا سيّما في وظيفته الجِدالية وإطاره التواصليّ [10].

2. المعنى النظريّ للحِجَاج:

الحِجَاج: عملية فكريّة تُخاطِب العقل، أدواتُها اللُّغة (بمفهومها الواسع)، ومجالُها الخِطاب، فـ"حيثما وجد خطاب العقل واللُّغة، فإنّ ثمة استراتيجية معيّنة نعمد إليها، لغويًا أو عقليًا، إمّا لإقناع أنفسنا، أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحِجَاج ذاته"[11]. وهذا يعني أنّ الحِجَاج مرتبط باللُّغة الطبيعية، ما استُعملتْ؛ لأنّ استعمالَها يعني أنّ هناك متخاطبين يلجؤون بفكرهم إلى اللُّغة لا ليبلّغوا محتوى خطاباتهم فقط، وإنّما ليؤثروا ويتأثروا، وليقنعوا ويقتنعوا. وهنا، نكون أمام مراحلَ ثلاثٍ لا بدّ أن يمرّ بها الحِجَاج، يتوزعها المتكلم والمخاطَب، فالمتكلم يقدّم كلّ الحِجج التي من شأنها أن تقنع المخاطَب "مرحلة الإقناع"، والمخاطَب مطالبٌ ببذل جهْد تأويليّ مناسب للمقام؛ ليصل إلى النتيجة المبتغاة من الخِطاب "مرحلة الاقتناع"، ولا يتمّ الحِجَاج بحدود "الإقناع"، و"الاقتناع"، بل لا بدّ من "العمل" بتلك القناعات "مرحلة العمل"؛ لأنّ العمل دليل ماديّ على الاقتناع، ولعلّ هذه المرحلة هي مقصود "أوستين" من "تأثير العمل في القول"، فعندما ينجز المتكلم عملًا حِجَاجيًا "عمل الإقناع"، فإنّ له تأثيرًا سلوكيًا، أو فكريًا، ينتظره المتكلم من المخاطَب، كردّ فعلٍ على حِجَاجه، وهو الدليل على "نفاذ الخِطاب- تحقيق التأثير"[12]. وبينما ترتبط المرحلتان الأوليتان بالعقل، فإنّ المرحلة الأخيرة ترتبط بالعمل، وقد عرّف "بيرلمان (Perelman) الحِجَاج، بما هو قريب من ذلك، إذ يرى أنّ "الحِجَاج غايته التأثير العمليّ، الذي يمهّد له التأثير الذهنيّ"[13]، وتعقيبًا على تعريفهما، يرى صولة "أنّ الحِجَاج، من حيث هو عندهما، حملٌ على الاقتناع أولا، وعمل في ضوء ذلك الاقتناع ثانيًا"[14]، وهذا يجعل القول الحِجَاجيّ مرهونًا بالاقتناع والعمل.

---

(8) ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت: طبعة دار المعارف، ط3، 1976، ص233.

(9) الزمخشري: **أساس البلاغة**، **بيروت**: دار الصادر، ط1، 1982، ص 113.

(10) أعراب، حبيب: **الحِجاج والاستدلال الحِجاجي: "عناصر استقصاء نظريّ**، م30، ع1، بيروت: عالم الفكر، 2001، ص 91-98.

(11) أعراب، ص 100.

(12) ولد محمد الأمين، محمد سالم: **مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة**، م(28)، ع(3)، بيروت: عالم الفكر، 2000، ص233.

(13) صولة، عبد الله: **الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج**، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م، ص 301.

(14) صولة، ص 302.

3. وظيفة الحِجَاج:

يقوم "الحِجَاج" (Argumentation) بدور مهم في "نظرية تحليل الخِطاب"؛ ذلك أنّ مجالَه الوحيد هو "الخِطاب"، بمختلف أشكاله: الإشهاري، والسياسيّ، والقضائيّ، والتربويّ، والديني؛ ذلك أنّ "الخِطاب"، بكل أدواتِه وتقنياتِه وآلياتِه يشتغل حِجَاجيًا من أجل غاية واحدة، هي "الإقناع فالاقتناع". ويُعدُّ هذا دليلًا كافيًا على قدرة "الحِجَاج" في تحقيق "الانسجام" التامّ له، وهذا- من غير شكٍّ- مبتغى "نظرية تحليل الخِطاب"، التي تقوم على المكونات الأساس في بناء النص، وهي: المكون الدلالي المرجعي، والمكون التلفظي، والمكون الحِجَاجي أو الجدلي [15]. وفي هذا الإطار، يقول العزاوي: "أمّا ما تدرسه نظرية الحِجَاج في اللُّغة، فهو اشتغال الأقوال داخل الخِطاب، أي هو تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخِطاب بصورة استنتاجية؛ أي أنها تدرس منطق الخِطاب والآليات والقواعد الحِجَاجية التي تحكم الخِطاب، وتضمن انسجامَه [16].

وإنّ ما يسوّغ الدراسة البراغماتيّة للحِجَاج في "نظرية تحليل الخِطاب"، بروزُ مكانة القصدية والفعالية والتأثير في كل عمليّة حِجَاجية [17]، وهذا يجعل من الحِجَاج في إطار البراغماتيّة، أداةً فعّالة في تحليل الخِطاب، والكشف عن الأساليب والآليات التي يتوسلها المتكلم في خِطابه للتأثير على المخاطَب، وتحقيق النتائج التي يترجمها سلوكه وعقله.

وقد أرجع الجاحظ وظائف البيان إلى ثلاث وظائف رئيسة: الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد، والوظيفة التأثيرية)حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب، والوظيفة الحِجَاجية)حالة الخصام): إظهار الأمر على وجه الاحتِجاج والاضطرار[18].

وإنّ ما يسوّغ الدراسة البراغماتيّة للحِجَاج في "نظرية تحليل الخِطاب"، بروزُ مكانة القصدية والفعالية والتأثير في كل عمليّة حِجَاجية [19]، وهذا يجعل من الحِجَاج في إطار البراغماتيّة، أداةً فعّالة في تحليل الخِطاب، والكشف عن الأساليب والآليات التي يتوسلها المتكلم في خِطابه للتأثير على المخاطَب، وتحقيق النتائج التي يترجمها سلوكه وعقله.

وقد أرجع الجاحظ وظائف البيان إلى ثلاث وظائف رئيسة: الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد، والوظيفة التأثيرية)حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب، والوظيفة الحِجَاجية)حالة الخصام): إظهار الأمر على وجه الاحتِجاج والاضطرار[20].

ووفْقَ هذه الثنائية، فمن غير شكٍّ أنّ المتكلم يسعى في حِجَاجه إلى تغيير معتقدات المخاطَبين وسلوكياتهم، وهذا، في حدّ ذاته، يجعل من الحِجَاج عملا صعبًا؛ لأنّ الباعث على الحِجَاج هو وجود شك في صحة فكرة ما، تبعث على النزاع والاختلاف في وجهات النظر، أو تحقيق الاقتناع بفكرة ما، وهذا ما يفسر انتماء الحِجَاج إلى المحتمل لا الحقيقي المطلق، وأنْ يجعل المتكلم المحتمل مطلقًا، والشك يقينًا، يعني أنّه بحاجة إلى قوّة خطابية، تستنفد كل طاقتها من أجل الإقناع، لهذا، كان الحِجَاج بديلا عن العنف، وبعبارة أخرى، فإنّ "الحِجَاج هو النسق القوليّ الذي

---

(15) بوقرة، نعمان: **أضواء على نظرية تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث**، عمان: عالم الكتب الحديث، ط2، 2008، ص 54.

(16) العزاوي، أبو بكر: **الحِجاج في اللغة**، الرباط: دار الأحمدية، ط1، 2006م، ص32.

(17) أعراب، حبيب: **الحِجاج والاستدلال الحِجاجي: "عناصر استقصاء نظريّ**، ص 97.

(18) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: **البيان والتبيين**، ص 92.

(19) أعراب، حبيب: **الحِجاج والاستدلال الحِجاجي: "عناصر استقصاء نظريّ"**، ص 97.

(20) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: **البيان والتبيين**، ص 92.

ينوب عن "القوة الماديّة" في تحقيق النتائج الملموسة"([21])، وهذا، بدوره، يميّز العمل الحِجَاجيّ عن غيره من الأعمال، في أنّه عمل جادّ، وليس نوعًا من التسلية الكلامية، بمعنى أنّ على المتكلم، وهو ينجز عملَه الحِجَاجيّ، أن يكون واعيًا بِكُلِّ أدواته وتقنياته الخطابية، التي يتمثلها في حِجَاجه، بالإضافة إلى مراعاته للجوانب النفسية والاجتماعية واللياقة الأدبية، وكلُّ ذلك من شأنه أن يسهم، إن كان مضبوطًا بالقدْر المطلوب، في "نفاذ خِطابه"، ورفع مستوى حِجَاجه، وبالتالي، القدرة على تحقيق الاقتناع لدى مخاطَبه، الذي لولاه لما كان هناك "حِجَاج".

أما عند "تولمين" فقد لخص مفهوم الحِجَاج من خلال رسوم حِجَاجية صاغها في كتابه (The uses of argument) والذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحِجَاجية في الاستخدام اللغوي، من بينها: الحِجَاج ذو ثلاثة أركان أساسية هي المعطى (م)، والنتيجة (ن)، والضمان (ض) [(22)]،

أما أزوالد ديكرو (Oswald Ducrot) وجون كلودا انسكومبر (Jean- claudeAnscombre)، فقد عرضا مفهوم الحِجَاج وآلياته من خلال كتابهما (Largumentation dans la langue)، الحِجَاج في اللُّغة، حيث يرى ديكرو: "أن كل قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلم يعني أنك تحاجج (كل قول= حِجَاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حِجَاجية، فالحِجَاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة"[(23)]، فحسب رأيه أن كل قول يحمل جانبًا حِجَاجيًا فهو يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على المتلقي.

4. الحِجَاج والتواصل:

يُعَدُّ الحِجَاج شكلًا من أشكال التواصل؛ فهو حِوار ومحاورة، وجِدال ومجادلة، ونِقاش ومناقشة من أجل الوِفاق والاتفاق، والإقناع والاقتناع، وهذه أعمال تستدعي الآخر بالضرورة؛ إذ إنّ كل تفكير حِجَاجي هو تفكير مع الآخر، وتواصل معه [(24)]، وقد تقرر لدى "بيرلمان" أنْ "لا حِجَاج بدون وجود جمهور يرمي الخِطاب إلى جعلِه يقتنع، ويسلم، ويصادق على ما يُعرض عليه"[(25)]:

فالحِجَاج بوصفه عملا لغويًا، يتحقق بالقصد الإقناعيّ (غرض المتكلم الحِجَاجيّ)، والقصد الانعكاسيّ الاقتناعيّ (قبول المخاطَب)، وينطلق من أرضيّةٍ مشتركة بين المتخاطبين، تُحرّك المخاطَب نحو العمل الحِجَاجي، وتُضفي مصداقيّة مبدئية على فرضيات المتكلم، أي خِطابه الذي يعطيه السياقُ المقاميّ مشروعيةَ التواصل [(26)].

يمكن القول: إنّ للعمل الحِجَاجيِ في إطار التواصلِ فائدةً يجنيها المخاطَب، تتوزّع في مسارين: المسار الإخباريّ، والمسار التأثيريّ. ويرى "ديكرو" أنّ الوظيفة التأثيرية أساسيّة، بينما يرى الوظيفة الإخباريّة ثانويّة [(27)]. فمثلا، لا يريد المتكلم، في موقف معيّنٍ من تلفّظه بجملة "أذّن المغرب" أن يخبر المخاطَب بحلول صلاة المغرب فقط، فهذا لا شيء أمام اعتبار هذا القول حجّة لنتيجة، من قبيل: أستأذنك؛ فسأذهب إلى المسجد، أو كفّ عن الحديث؛ احترامًا للأذان، وما إلى ذلك من النتائج التي يحتملها المقام.

---

(21) ولد محمد الأمين، ص 234.

(22) صولة، عبدالله: **في نظرية الحجاج**، دراسات وتطبيقات، تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 292.

(23) العزاوي، **الحِجاج في اللغة**، ص 52.

(24) أعراب، ص 299.

(25) صولة، ص 306.

(26) العزاوي، **الحِجاج في اللغة**، ص 41.

(27) العزاوي، **الحجاج في اللغة**، ص 42.

5. اللُّغة والحِجَاج:

اللُّغة من وجهة نظر "البراغماتية"، أو "الملفوظيّة"- "إفصاح، وإدلال، وتعبير، تُحقِّقُ الاتصال والتفاهم بين (الباثّ) المتكلم، والمتلقي السامع، أي هي وسيلة تخاطب كلها التعبير" [28]. ويستلزم ذلك أنّ اللُّغة، عند استخدامِها، لا تكون مجردَ رموز وإشارات تواضعية، وهذا لا ينفي عنها صفة كونها "نظامًا"، بل هي "نظام" يحمل في ذاته قيمًا براغماتية، أو "تعليمات وتوجيهات تقدمها المكوّنات اللغويّة للمؤول، حتى يتمكن من الوصول إلى المعلومات المقامية الكفيلة ببيان كيفية إعادة بناء المعنى الذي قصد إليه القائل" [29].

وهذه النظرة البراغماتية إلى بنية اللُّغة تمثلها "البراغماتية المدمجة"، وهي مشروع كبير مرتبط بالعالِم الفرنسيّ "ديكرو"، ويقوم هذا المشروع على احتساب دلالة الخِطاب في ضوء المقام، انطلاقًا ممّا توفّره أبنية اللُّغة من مكونات لغويّة، لها وظيفة توجيهية تساعد المتكلم على توجيه خِطابه وجهة ما [30].

ومن هذه الزاوية، تُعدُّ اللُّغة رافدًا مهمًا للحِجَاج، من وجوهٍ ثلاثة؛ أمّا الأول، فاللُّغة توفّر للحِجَاج إمكاناتِها القابلة للصياغة الحِجَاجيّة في ضوءِ المقام، حيث تجد الوظيفة الحِجَاجية لخطاب ما عناصرَها الأساسية في بنية اللُّغة [31]، ومن وجهٍ آخر، فإنّ هذه الإمكانات تحدّد الوجهة الحِجَاجيّة للقول (أو الخِطاب)، "وهذا يستلزم أنّ القول لا يصلح أن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك، إلا بموجب الوجهة الحِجَاجية المسجلة فيه" [32]،حيث تحدد المسار التأويليّ الذي على المخاطَب أن يسلكَه للوصول إلى النتيجة المتوخاة، ومن وَجْهٍ أخير، فإنّ اللُّغة- بوصفها نظريةً يمارسُ فيها الحِجَاج وظائفَه- تجعل الخِطاب قطعةً واحدةً يطلب آخرُه أولَه، وحاضرُه غائبَه، حيث تتسلسل الأقوال في بناءٍ واحدٍ، منها حِججٌ يقدّمها المتكلم للمخاطَب، ومنها نتائج يسعى المتكلم إلى جعل المخاطَب يستنتجها من بنية اللُّغة، ويقبل بها، إذ إنّ الملفوظات الحِجَاجيّة تضطلع بدور إلزام المخاطَب باستخراج النتائج، فما يريد المتكلم أن يقوله، هو ما يريد أن يجعل المخاطَب يقولُه [33].

6. الآليات والتقنيات الحِجَاجيّة:

تُعْرَف "الآليات والتقنيات الحِجَاجيّة" بأنّها الطرائق والمبادئ التي تحكم البناء الحِجَاجيّ في خِطاب ما، وإذا أردتَها بعبارة أخرى، فإنّها الطرائق والأساليب التي يتمثلها المتكلم، عن وعْيٍ وقصدٍ حِجَاجيين، من أجل رفع رصيدِه الحِجَاجيّ، بما يكفل له القدرة على التأثير في المخاطَب وإقناعه بشكل أنجع [34].

وإذا كانتْ هذه التقنيات مرتبطة ارتباطًا أوليًا وأساسيًا بالحُجة، فإنّ السؤال الذي ينبغي الإجابة عنه، هو: "ما الحُجَّة؟". وردَ في اللسان: "الحجّة ما دوفِع به الخصمُ"[35]. ويقول "الكفوي": "ما ثبت به الدعوى من حيث الغلبة

---

(28) بن ذريل، عدنان: **النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989، ص 31.

(29) المبخوت، شكري: **نظرية الحِجاج في اللغة**، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999، ص372.

(30) المبخوت، ص 373.

(31) أعراب، ص 105.

(32) المبخوت، ص 375.

(33) ديكرو، أوزفالد: **السلالم الحِجاجية، ضمن لسانيات الخِطاب، "الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية"**، صابر حباشة، ط1، اللاذقية: دار الحِوار، 2010، ص 78.

(34) بوقرة، ص 118.

(35) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "حجج"، ص 345.

به على الخصم يُسمى حجّة"[36]. والحجة عند "طه عبد الرحمن": "الدليل الذي يُقصَد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم، مع نصرة الحق، أو نصرة الشبهة"[37]. والحجّة في خِطاب ما، كما يراها "ديكرو"، هي ذلك القول ($ق_1$)، أو مجموعة الأقوال التي يوجهها المتكلم إلى جعل المخاطَب يقبل بقول آخر ($ق_2$)، أو مجموعة أقوال أخرى، كنتيجة لحِجَاجه، سواء أكانت صريحة أو ضمنية[38]. وهذا يعني أنّ الحِجَاج هو تقديم الحِجج، في قوالبَ (أو مبادئ) حِجَاجية، تسعفه البلاغة واللُّغة في رسمِها أو (تفنينها)، للوصول إلى نتيجة معيّنة. وبشكل عام، فإنّ الحديثَ عن الحِجَاج هو حديثٌ عن الآليات والتقنيات التي تضمن للخِطاب أن يكون مؤثرًا ومُقنعًا، بما لا يدع مجالًا للمخاطَب إلى رفض المعطيات الحِجَاجية، وهذا يعني أنّه مستعدٌ للعمل بتلك النتائج، وعلى ذلك تدار العمليّة الحِجَاجية.

أ- العدول:

إنَّ ارتباط مبدأ "العدول" بالأسلوب يجَعَلَهُ مقصورًا على المعالجة الشكلانيّة؛ فالعدول كما يرى "تمام حسان": "مورد من موارد التأنّق بالأسلوب" [39]، وفي هذا إجحافٌ بالوظيفة التخاطبية للأقوال؛ ممّا يعني أنّ "الأسلوب "وإنْ احتضن البلاغة بمنهج حديث (وصفيّ) يجسّد اللُّغة، فهو يصفها دون أن يعبّر عن دورها الأساسيّ في التخاطب[40]، وهو دورٌ يكشف عنه الدَرْسُ الحِجَاجيّ، إذ يعتبر الظواهر الأسلوبية ليستْ مظاهر خارجيّة فحسب، بل هي طاقات حِجَاجيّة، يوظّفها المتكلمُ من أجل التأثير والإقناع، لهذا دعا "بيرلمان" إلى الحدّ من الغلوّ في التحليل الشكليّ (الأسلوبيّ) للبلاغة، والانصراف- بدلا من ذلك- إلى التحليل الوظيفيّ في الخِطاب، فليستْ مَهَمَّةُ الحِجَاج- كما يراها "بيرلمان"- "دراسةَ الأبنية والأشكال الأسلوبية بمعزلٍ عن الهدف الذي ينبغي أن تؤديه في عمليات البرهان [الحِجَاج]"[41].

الأسلوب، إذن، يفتقر إلى البُعْد "البراغماتيّ"، وهو ما استدركتْه الدراسات الأسلوبيّة الحديثة، سواءٌ على الصعيد الغربيّ (الفرنسيّ)، كما هو عند "جورج مولينييه" (Georges Molinie) [42]، أو على الصعيد العربيّ (المغاربيّ-التونسيّ)، كما هو عند "صولة"، فهذا الأخير قد قدّم دراسة مطوّلة، انتهى فيها إلى أنّ "الأسلوب حِجَاجيّ، والحِجَاج يحمله الأسلوب"، وذلك باستدعاء منهجية "براغماتية"، تنطلق من اللُّغة، وتنظر إلى المقامِ، إنّها عودةٌ إلى "البراغماتيّة المدمجة"، وتتجلى أسلوبية "صولة" في مبدأ "العدول"، بالاعتماد على قانون "الأنفع"، الذي يتلخص في "أنّ بين وحدات اللُّغة تفاوتًا في درجة التعبير حِجَاجيًا في فكرة ما، بحيث يعتمد التعبير بالعنصر (أ)، دون العنصر (ب)"، وهذا من شأنِه أن يُخرِج مفهوم العدول من قُمْقُم الشكلانية (الوظيفة الوصفيّة)، إلى فضاء التأثير والإقناع والحِجَاج (الوظيفة التأثيريّة)، فيرقى به من "عدول غايته إحكام صنعة الكلام، وصنع جماله، إلى العدول بما هو مدار حِجَاج، ومناط اقتناع"[43].

---

(36) الكفوي، أبو البقاء: **الكليات**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1998، ص 134.

(37) عبد الرحمن، طه: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 67.

(38) المبخوت، **نظرية الحِجاج في اللغة**، ص 381.

(39) حسان، تمَّام: **البيان في روائع القرآن، "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنيّ"**، القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1993، ص 77.

(40) حباشة، صابر: **الأسلوبية والتداولية، مدخل لتحليل الخِطاب**، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص 22.

(41) فضل، صلاح: **بلاغة الخِطاب وعلم النص**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص 38-40.

(42) فضل صلاح، ص 40-41.

(43) صولة،، ص 251.

ووَفْقَ هذا المبدأ، يمكن تعريف الحِجَاج بأنّه "بحثٌ من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائمًا"([44]). فالاختيار مظهر حِجَاجيّ، يتجلّى في إقصائه للإمكانات التي تتيحها اللُّغة، والعدول عنها إلى اختيارٍ، يتوقّع المتكلم أنّه يكون أقوى وأنجع في حِجَاجه تأسيساً على مبدأ التأثير أو الجمال. والمتكلم، بذلك، لا يَعرضُ محتوى أقواله فقط، وإنّما يتّخذ منها موقفًا، يريد من المخاطَب أن يقتنع به، فيصادق عليه، ويشاركه في الحكم عليه، والعمل بنتائجه. فمثلا، عندما يعرّف أحدُهم لفتاةٍ عن نفسه بأنّه الدكتور فلان، في موقف لا ضير في أن يتخلّص فيه من الألقاب، فهو لا يريد أن يخبرها مَنْ هو فقط، وإنّما يريد أن يغريَها بمكانته؛ لغاية إقناعها بالزواج منه مثلًا.

مما سبق، يتبين أنّ غاية المتكلم من تطبيق مبدأ "العدول" هو- بالإضافة إلى تبليغ المحتوى- المُحاجّة به، بمعنى أنّه يقوّي التوجيه نحو النتيجة التي يروم تحقيقها، والتي يريد من المخاطَب أن يعملَ بها.

ب- توظيف الروابط والعوامل الحِجَاجيّة:

تُعَدُّ الروابط دليلًا قاطعًا على أنّ الحِجَاج مؤَشَّرٌ له في بنية اللُّغة؛ ذلك أنّها تخصّ الأدوات اللغويّة، التي يعطيها الحِجَاج قيمتَها الوظيفيّة في الخِطاب. وهذا يعني أنّنا لم نعد ننظر إليها على أنّها وصلات للجمل أو النصوص فحسب، "ولكنّها، أيضًا، تؤدّي أغراضًا استدلاليّة حِجَاجية، إضافةً إلى وظيفتِها الرابطة"[(45)]. فالفاء في الخِطاب الآتي: "لم أذهب اليوم إلى الجامعة؛ فالسماء كانت تمطر"، تعدّ رابطًا حِجَاجيا؛ يربط بين الحُجة والنتيجة، فنزول المطر حجة لامتناع الذهاب إلى الجامعة. ومن الأهميّة بمكانٍ الإشارة إلى أنّ اللُّغة ثرية بالأدوات اللغوية التي يتوافر عليها المتكلم في خِطابه، فالخِطاب السابق يمكن أن يحقق النتيجة نفسَها في أكثر من صياغة حِجَاجية، كأن يلجأ إلى الأدوات الآتية (لأنّ، إنّ، إذن، و)، أو أدوات الاستفهام الإنكاريّ، إذا ما تعرّض لسؤالٍ من قبيل: "لماذا لم تذهب إلى الجامعة؟"، فيكون جوابه: "ألم تكن تمطر اليوم؟". و"المهمّ من هذا كلّه أنّ هذه المعطيات اللغويّة تمثّل تعليمات توجّه استخلاص النتيجة" [(46)].

وتكمن الوظيفة الحِجَاجية لبعض الروابط، مثل الروابط "حتى، بل، لكن، مع ذلك"، في أنّها تربط بين قولين، كلاهما حُجة، تخدم نتيجة واحدة، ولكن بدرجات متفاوتة، فالحجة التي تلي الرابط "حتى"، مثلا، أقوى من الحجة التي تسبقه [(47)]. وبالمثال يتّضح المقال: "باعَ خالدٌ حتى بيتَه الذي يأويه"، فمن الواضح أنّ في الخِطاب السابق حجتين: (1) باع خالدٌ كلَّ شيء، باع خالد بيتَه (2)، وكلاهما يخدمان نتيجة من قبيل: "خالد مُفْلِسٌ"، لكنّ الحجة الثانية التي تلي حتى أقوى من الأولى؛ إذ هي ألصق بالنتيجة.

وبالإضافة إلى الروابط الحِجَاجيّة، فثمّة نوع آخر من الأدوات اللغويّة، يسميها "ديكرو" العوامل الحِجَاجيّة، وهي "التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجَاجيّة التي تكون لقول ما" [(48)]. وتشمل أدوات الحصر والنفي، وبعض المكونات اللغوية، مثل: "تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا"، وغيرها من المكونات اللغويّة التي تؤدي دورًا مهمّا في توسيع أو تضييق الاحتمالات الحِجَاجيّة([49]). وتظهر الوظيفة الحِجَاجيّة للعوامل في أنّ "اختيار المتكلم الملفوظَ، وقد دخلت

---

(44) ولد محمد الأمين، **مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة**، ص 226.

(45) كروم، أحمد: **مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحِجاجيّ لبنية الاقتضاء**، م32، ع3، بيروت: عالم الفكر، 2004، ص 43.

) (46أبو هلال العسكري :**الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق مفيدة قميحة، بيروت: دار الكتب، ط2، 1987، ص 347.

(47) العزاوي، ص 27.

(48) ديكرو، أوزفالد: **السلالم الحِجاجية**، ص 83.

(49) المبخوت، ص 377.

عليه العوامل الحِجَاجيّة أنفع في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عن تلك العوامل؛ وذلك أنّ النتيجة التي يريد إيصال المخاطَب إليها مضمونة الوصول"[50].

ج- السُلّم الحِجَاجيّ:

يرتبط مفهوم السُلَّم الحِجَاجيّ بمفهوم القوّة الحِجَاجيّة، والتي تعني تلك الطاقة الإقناعيّة التي يمنحها السياقُ، وقصدُ المتكلم، إلى القول في موقف ما [51]. ومن هذا المفهوم، يمكن أن ندرك أنّ الحِجج- بما أنّ لكلِّ واحدةٍ (قول) منها طاقةً إقناعيةً ما- لا تتساوى، ولكن تتفاوت قوةً وضعفًا في الخِطاب الواحد، فثمة حِجج قوية، وأخرى أقوى، وضعيفة وأضعف، وقاطعة وعادية، لكنّ تواجدَها في خِطاب واحد، يعني أنّها تخدم نتيجة واحدة. وتسمى مجموعة الحِجج المتفاوتة في طاقتها الإقناعيّة (أو قوتها الحِجَاجيّة)، والتي تدخل في نِطاقٍ حِجَاجيّ واحد، فتؤدّي نتيجة واحدة، بـ"الفِئَة الحِجَاجيّة"[52].

وبما أنّ الفئة الحِجَاجيّة تتكون من مجموعة الحِجج المتفاوتة في قوّتها وضعفها، بحيث تتوجّه جميعها إلى نتيجة واحدة (ن)، فإنّه يمكن ترتيب تلك الحِجج تصاعديًا، من الأضعف إلى الأقوى، بحيث تُعتبر الحُجة الثانية ($ق_2$) أقوى من الأولى ($ق_1$)، والثالثة ($ق_3$) أقوى من الثانية ($ق_2$)، وهكذا، إلى أن نحصل على متوالية حِجَاجيّة تتوزّع على محورٍ عموديّ، يمثّل له "ديكرو "بالرسم الآتي[53]:

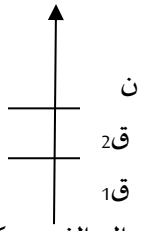

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه، هنا، هو: "ما هي الفائدة التي يقدمها "السلم الحِجَاجيّ" لنظرية "تحليل الخِطاب"؟. فمن الواضح أنّ مفهوم "السلّم الحِجَاجيّ" يختزل المفهومين، أو المبدأين السابقين (العدول، والروابط الحِجَاجيّة). فالقول المعدول عنه يمثّل حجّة أضعف من القول الذي اختاره المتكلم في خِطابه، حتى لو كان هذا القول هو الأصل، كما أنّ الرابط إذا جمع بين حجّتين، فإنّ الحجّة التي تليه هي الأقوى، وهي، بالتالي، الأقرب إلى النتيجة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ السلّم الحِجَاجيّ يعمل على تنظيم الخِطاب في شبكةٍ واحدة؛ ممّا يضمن انسجامَه؛ اعتمادًا على أنّ السلم الحِجَاجيّ ينطلق من مبدأ تلازم النتيجة للحجة [54]، فالحجة التي يوظّفها المتكلم في خِطابه، إذا راعى فيها مقاصدَ المتكلمين وتوجّهاتهم، وكانتْ وفقَ مقتضيات السياق، فإنّ لها نتيجةً تعقبُها، وتؤكّد نفاذها، سواءً أكانتْ النتيجة صريحةً أو مضمرة، وهذا ما يجعل من الحِجَاج أداةً براغماتيّة فعّالة في تحليل الخِطاب.

المبحث الثاني: تحليل عناصر الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون

ولما كان الجاحظ هو من حفظ رسالة سهل بن هارون من الضياع في بخلائه؛ وهو الكتاب الذي تصرّف في أخباره تصرفًا ملحوظًا، فقد جاز نسبتها إلى سهل لفظًا ومعنى، كما صرَّح الجاحظ بذلك؛ فهي حرية- بما فيها من

(50) صولة، مرجع سابق، ص 34.

(51) العزاوي، ص 52-53.

(52) عبد الرحمن، طه: **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1998، ص 68.

(53) المبخوت، ص 365.

(54) المبخوت، ص 363.

الخصائص الجدالية- أن تشبه بعض الرسائل التي أُثِرت عن سهل، كرسالته في تفضيل الزجاج على الذهب [55]، وغيرها من رسائله. وهي مع ذلك لا تبتعد كثيراً عن فحوى كتابة أبي عثمان الجاحظ وأسلوبه في رسائله كفخر السودان على البيضان، أو مناقب الترك، أو الحاسد والمحسود وغيرها [56].

وفي نفس السياق، يقول الحصري القيرواني (ت453هـ) في كتابه زهر الآداب: "ألّف سهل بن هارون كتابًا يمدح فيه البخل، ويذم الجود؛ ليظهر قدرته على البلاغة، وأهداه للحسن بن سهل الذي كان من كرماء العرب وعقلائهم في وزارته للمأمون، فوقّع عليه: لقد مدحتَ ما ذمَّه الله، وحسنتَ ما قبَّح الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه" [57].

تبدأ رسالة سهل بن هارون بالبسملة والافتتاح التقليدي السائد زمن إنشائها، وتختتم بالسلام، وبالتالي؛ فإنّه ينطبق عليها جملة الخصائص النصية، أو المعايير المطلوبة في علم لغة النص بحسب نظرية (روبرت ديبوجراند) و(ولفجانج دريسلر)، وهذه الخصائص أو المعايير سبعة هي: التضام والتقارن والقصديّة والتقبليّة والإعلاميّة والموقفيّة والتّناص [58]، ونظرًا لتحقّقها الظاهر جميعًا في الرسالة، فلن يُفصَّل فيها القول، لأن العمل اختص بالأمور التداولية.

ولا شك في أن القارئ للرسالة يدرك أن سهل بن هارون قد تدرَّج في استعمالاته اللُّغوية مستوعبًا الاستراتيجيات التضامنية مع المخاطَبين[59]. ومن هذا المنطلق يُترك جانبًا أمر الخلاف حول الرسالة، ليتم تحليلها حِجَاجيًا، حيث يرى النقّاد ومؤرخو الأدب بصورة عامة: أن النصوص الأدبية تنقسم أنواعًا على النحو الآتي: النص التفسيري، والنص الوصفي، والنص السردي، والنص الاستدلالي الحِجَاجي، والنص التحاوري، إلا أن مضمون رسالة سهل بن هارون حِجَاجي يقوم على التفريق في الرأي بين خصمين حول سلوك قيمي محدد؛ أبخل هو أم اقتصاد؟ فسهل بن هارون يراه اقتصادًا جديرًا بأن يتعلّمه الناس، فلا يخجل منه إذ يقدم عليه، فهو لديه المقدرة على الدفاع عن هذا السلوك أمام الطرف الآخر المتمثّل بخصومه مجتمعين الذين يرون أنّه بخيل؛ فيعيبونه بإيراد شواهد محددة من سلوكه ومقاطع من كلام له قاله أو كتبه؛ حتّى شكّلت بمجموعها مذهبه في البخل. إلا أن سهل بن هارون تحاشى ذكر كلمة البخل على امتداد الرسالة، وأصرَّ أنّه مقتصد فحسب؛ لذا ركَّز على مفهوم العيب في السلوك من عدمه، معتمدًا على مدى إمكانية صدق الوصف بهذه الكلمة، أو عدم الصدق فيها.

واستنادًا على ما تقدم، فإن رسالة سهل بن هارون هي نص حِجَاجي، ويتجلّى فيها البعد الحواري بوضوح، فهي رسالة من جهة الأسلوب والحوار الثنائي، وفي طريقة الاستشهاد والاحتجاج حين يحاول فيها سهل بن هارون أن يقيم الحجة على الخصوم أمام طرف ثالث مفترض أو متخيل.

فعند النظر في البناء العام للرسالة؛ نجد أنها تبتعد عن الخيال الأدبي، وتنأى عن السردية التي ألفناها في كتابيه: "النمر والثعلب"، و"ثعلة والعفراء"، إذ تقوم الرسالة على العلاقات المنطقية الاستنباطية، وتكاد فقراتها جميعًا تتلاحم وتنسجم لتشكّل جملة دعاوى يقدمها الخصوم فترتد عليهم بدعاوى أكثر حبكًا وإقناعا.

---

(55) صفوت، أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب في عصورها الزاهرة، بيروت: المكتبة العلمية، 1982، 395/1.

(56) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون**، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1979، 1/ 173.

(57) الحصري، القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت543هـ): **زهر الآداب وثمر الألباب**، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم زكي مبارك، بيروت: دار الجيل، ط2، ج3، 1982، ص 155.

(58) العبد، محمد: النص الحجاجي العربي، جدة: **مجلة جذور**، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجلد 9، ج2، 2005، ص238.

(59) الشهري، عبد الهادي بن ظافر: **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط1، 1984، ص 526-542.

بيان عناصر الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون:

تتبع أبناء العمومة من الفرس من آل راهبون معايب سهل بن هارون فيما يعدونه بخلاً، وقدّموا عنه أكثر من ثلاثة عشر عيباً سجلوها عليه، فنجده يطالعهم بالمقدمة الآتية مقرّعًا ومستهجنًا صنيعهم، ورادًا عليهم بما يفحم، فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلحَ الله أمرَكُم، وجمعَ شَملَكُم، وعلَّمَكُم الخيرَ، وجعلكم من أهلِهِ! قال الأحنفُ بن قيس: يا معشرَ بني تميم، لا تُسرعوا إلى الفتنةِ، فإنّ أسرعَ الناسِ إلى القتالِ، أقلُّهم حياءً من الفِرار. وقد كانوا يقولون: إذا أردتَ أن ترى العيوبَ جَمَّةً فتأملْ عيّاباً، فإنّه يعيبُ بفضلِ ما فيه من العيبِ. وأولُ العيبِ أن تعيبَ ما ليسَ بعيبٍ. وقبيحٌ أنْ تَنْهَى عن مُرْشِدٍ، أو تُغْرِيَ بمشفِقٍ. وما أردنَا بما قُلنَا إلاّ هِدايتَكُم وتَقويمكُم، وإلاّ إصلاح فَسادِكُم، وإبقاءَ النعمةِ عليكم. ولئن أخطأنا سبيلَ إرشادِكُم، فما أخطأنا سبيلَ حسن النيّةِ فيما بيننا وبينكم. ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلاّ بما قد اخترناه لأنفسنا قبلَكُم، وشُهِرنَا به في الآفاق دونكم. فما كان أحقَّكم في تقديم حرمتِنَا بكم، أن ترعوا حقَ قَصدِنا بذلك إليكم، وتنبهنا على ما أغفلنا من واجبِ حقِّكم، فلا العُذرَ المبسوط بلغتم، ولا بواجبِ الحرمةِ قمتم. ولو كان ذكر العيوبِ براً وفضلاً، لرأينا أنّ في أنفسنا عن ذلك شُغْلاً. وإن من أعظمِ الشقْوة، وأبعدَ من السعادة، أن لا يزال يُتذكّر زللُ المعلِّمين، ويُتَنَاسى سوءُ استماعِ المتعلِّمين، ويُسْتَعْظَمُ غَلَطُ العاذِلين، ولا يُخْفَلُ بتعمُّدِ المعذولين"([60]).

فلما كان الدعاء، تقليداً أدبياً راسخًا، في افتتاح الرسائل القديمة، يأتي بعد البسملة؛ فإنّ صيغة الدعاء ذاتها تخضع لاختيار أسلوبي دالّ، فحين يبدأ سهل بالدعاء للمخاطبين بأن يصلح الله أمرهم، فهو يحقّق نوعاً من التأدب المعهود في المخاطبات التراثية التداولية، المنصوص على وصفها بأدب السياسة، أو الآداب العامة الدالّة على حسن التصرف، وإحسان المعاملة، ويمكن قراءة ذلك قراءة حديثة في باب نظرية التأدب في اللسانيات التداوليّة ([61]).

يلاحظ من مقدمة الرسالة أن سهل بن هارون قد حقق الاستراتيجيات التضامنية مع جماعة المخاطَبين، لذلك؛ يكون قد بعث إلى خصومه إشارة ضمنية إلى أنّهم على ضلالة من نوع ما، فطبيعة اللُّغة في الحوار والخصومة تتيح له ذلك، وتسمح به، وحين يدعو لهم بجمع الشمل، فإنّه يتلطّف بهم كذلك، ولعلّه يرميهم، في الوقت نفسه بتهمة مبطّنة؛ وهي أنّهم دعاة فرقة؛ علموا بما هم عليه أم جهلوا، وحين يدعو الله أن يعلّمهم الخير وأن يجعلهم من أهله، تبقى صيغة الدعاء من باب التأدب العملي، مع أنّه يراهم إلى الشر أقرب منهم إلى الخير، بحسب منطق العبارة، أي ما هم بنظره أهل خير، فنجده يدعو الله لأن يجعلهم من أهله، وقد دعا لهم بذلك، حتّى يبصرهم بسوء فعلهم وشنيع قولهم، بأن يستشهد بكلام الأحنف بن قيس لقومه، وهو سيّد تميم، وأحد حكماء العرب وحلمائهم،- وهو من كان يضرب به المثل في ذلك- تُرى هل يريد سهل بن هارون أن يقابل ما بينه هو نفسه وبين المخاطب ؟ فيقول للعجم من أبناء عمه (إن كانوا المخاطَبين): أنا سيّدكم، كما كان الأحنف العربيّ سيّد قومه، أم تُراه يقول للعرب (على فرض أنّهم المخاطَبون): ها أنا ذا أحتجّ عليكم بكلام سيّد من ساداتكم؛ فما الذي تنكرون؟

فسهل جعل ما ينطق به الخصم بحقّه فتنة؛ والفتنة أشد من القتل" . ويحمِل كذلك على الخصوم باستحضار القول الجماعي؛ ليجعل من كلامه بديهة يعلمها الجميع بالضرورة، فيكون إفحام الخصم بالحمل عليه بأن يقلب الحجّة بقلب الوصف، فكأنّه يقول ما أنا بالمعيب أصلًا، فلا يكتفي برفع العيب عن نفسه، بل يجعل من خصمه مَجْمَعاً

(60)الجاحظ :البخلاء، ص 106-108.

(61) عبيد، حاتم: **نظرية التأدب في اللسانيات التداولية**، الكويت: مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، م43، ع1، 2004، ص 95-115.

للعيوب، فأعرَفُ الناس بالعيب من يقارفه ويخالطه ويزاوله، وإلّا فكيف عرفه حقّ المعرفة؟ !إنّ من يعيب الناس إنّما يعيب بفضل ما فيه هو من العيب، فما بالك بفرية من يعيب ما ليس بعيب؟ وما رأيك بمقدار قبح من ينهى عن المرشد، ويغري بالمشفق؟

فتتبدّى سمات الحِجَاج في هذا الخطاب من التقابل الظاهر في نسبة الأقوال والأفعال المتباينة والمتقابلة بحدّة إلى كلّ طرف من الطرفين؛ فالطرف الثاني وهم المخاطَبون أُلصقت بهم خصال سيئة، وأسندت إليهم أفعال مَشينة، وأمثلتها كثيرة منها؛ عدم الصلاح، ثم فساد الأمر. والجهل بأبواب الخير، ثم افتقاد الهدى. والسير في إثارة الفتنة، ثم الفرار من ساحة القتال. وتتبع العيوب، التي هي مرايا أنفسهم، ثم التجاوز بالعيب إلى فعل القبح الصريح بالنهي عن الرشاد. أما الطرف الأول وهو المتكلّم سهل بن هارون، فمرشد ومصلح، وسيد مشفق، ودالّ على الهدى، وقدوة في فعله وفي نفسه، ومعلّم كبير يعرف واجبه تجاه المتعلّمين الذين ضلّوا الطريق، وهو عفيف مشغول بعاليات الأمور لا بسفاسفها. وخلاصة الأمر إنّنا نقف أمام مُتقابلَين ومتعارِضيّن يعرف الطرف الأولُ منهما- وهو الفَرد العلم- الحق والواجب والخير وكريم الخصال ويمثّلها ويتمثّلها، وفي الوقت ذاته يقابله الطرف الآخر – وهم الجمع الضالُّ- الجاهلُ والمسيءُ والشقي والغارق في العيوب والمفرطُ بالواجب والواقع في الحرمة.

وبما أن النصّ الحِجَاجي ينطوي في جوهره على قيمة يختلف حولَها طرفان، فإنّ سهلًا قد مهّد السبيل إلى ذكر كلّ الحجج التي قدمها الخصوم، ولمّا كان الموضوعُ موضوع اختلاف في القيم الاجتماعية فقد حفلت الرسالة بلفظة مفتاحية أسلوبيًا؛ هي كلمة "العيب" التي سيذكرها كثيراً أولئك النفر الذين حملوا على سهل، وسيدعهم هو بدوره ليقولوها، ثم يقلب عليهم الحجة، فيلصق العيب بهم هم، متَّبعاً كلّ ما من شأنه أن يحقّق له تلك الغاية، ويمكن القول إنّ جوهر الدعوى في هذه الرسالة تكمن في الكلمة المفتاح، فهم يقولون: إنّ السلوك الذي يسلكه سهل في بخله يقع في باب العيب الاجتماعي. وهو يرد: إن ما أقوم به هو الاقتصاد لا البخل، فما أنا بالمعيب، بل أنتم من تفعلون العيب حين تعيبون، فارجعوا عن ضلالتكم، واعتذروا لي.

من هنا فقد وردت كلمة(العيب) في مقدّمة الرسالة باشتقاقاتها ثماني مرات، وتصير صيغة)عبتموني(في باقي الرسالة فاتحة لكلّ فقرة من الاثنتي عشرة فقرة المتتابعة باطّراد، مع تكرار في ثلاثة مواطن لتبلغ خمس عشرة مرّة، فيصل المجموع الكلّي لذكر الدعوى/الكلمة المفتاح ثلاثًا وعشرين مرّة.

فكلّ سلوك في تلك المفتتحات يقدّمه الخصوم على أنّه من العيب الذي لا يليق بسهل أن يأتيه، ولكنّ أسلوب الحِجَاج الذي انتهجه هو قد برهن فيه بشتى الأساليب الممكنة على أنّ العيب بعيد منه، لكنّ ذلك العيب ملتصق بمن يعيبون، كما أشار في المقدمة، وهكذا يتلخّص موضوع الدعوى في الرسالة برمّتها بأنّه اتّهامهم سهلًا بالبخل، وما ردّه للدعوى إلّا بإثبات العكس؛ وذلك بتفنيد كلّ الأدلّة التي يسوقونها.

وبالتالي، يرى الباحث: إنّ البناء القصدي المنظّم، والتركيب اللغوي المحكم، للنصّ الحِجَاجي، ظهر جليّا في هذه الرسالة، مما يؤكّد أنّه قد تشكّل في ذهن المؤلّف تشكّلًا تاما قبل الصدع بقوله على مسمع من الخصوم – وهذا أمر مستبعد لأنّ الرسالة ردُّ كتابي، في الأغلب، ولا يبدو عليها سمة الخطاب الشفوي في أصل إنشائها- أو قبل إملائه على أحدهم، أو قبل إفراغه على الورق بقلم مؤلّفه، والشاهد على ذلك، تكون الرسالة من تلك المقدمة السجاليّة بفقراتها الثلاث، ومن العرض المنطقي التفنيدي المتسلسل لمقولات الخصم والرد عليهم باثنتي عشرة فقرة، تسير على نسق واحد من الحِجَاج، أو تكاد، وتفتتح جميعها بكلمة" عبتموني"، منها ثماني فقرات طويلة نوعاً ما، وأربعة قصيرة. لكن كل فقرة تكاد تتساوق مع أختها في العرض وبيان التهمة، وفي الرد، والاحتجاج العقلي، فالنقلي بالتمثيل والشاهد والنموذج والمثل. حتّى إنّه يمكن الاطمئنان إلى مفهوم "انتظام المنطق الحِجَاجي "وتحقّقه في الرسالة كلّها كما يفصله بالتطبيق العملي، فمن مكونات المنطق الحِجَاجي الخمس وهي: عناصر العلاقات الحِجَاجية وأشكال التسلسل وعلاقات المعنى ونماذج

الروابط وقيم الحقيقة، إلى أساليب المنطق الحِجَاجي الخمسة كذلك وهي: الاستنتاج والشرح والتجميع والاختيار التعاقبي والتنازل الحصري، التي يذكرها شارودو جميعاً مفصّلة([62])، نكاد نعثر على غالبيتها دون عناء.

فمنذ البداية نجح سهل في قول الانطلاق في مفتتح الدعاء، ثم حفل بأقوال العبور وهي كثيرة على امتداد الرسالة، وختم بقول الوصول إلى الغاية في النهاية حين قال: "فلستم عليّ تردون، ولا رأيي تفنّدون. فقدموا النظر قبل العزم. وتذكّروا ما عليكم، قبل أن تذكروا ما لكم. والسلام"، وراوح بين الوصل والفصل، والحصر والتقابل وعمّم وخصّص، واستنتج بالقياس المنطقي والشرطي، وشرح كذلك بهما معاً، وجمّع الأضداد والمتطابقات، وحبّك الرسالة حبكًا استدلالياً لا غبار عليه.

ولو أردنا الوقوف على الملامح الأوّليّة لطراز النص الحِجَاجي كما ذكرها محمد العبد آنفًا لعثرنا عليها، إما مجتمعة في كلّ فقرة من فقرات الرسالة على حدة، وإما مستوفاة بتكامل الفقرات فيما بينها، بحسب طبيعة الملمح والغرض منه، فأول ملمح رئيس هو أن العلاقة بين أجزاء النص الحِجَاجي- في صلب الفقرات أو فيما بينها- علاقة منطقية استنباطية، وهي كذلك في هذه الرسالة كلّها، وليست هي هنا علاقة تصورية على الإطلاق في أي جزء من أجزائها. والملمح الأخير الذي ذكره ماثل كذلك بوضوح على امتداد الفقرات فيها؛ لأن نصها بكماله هو نصّ تقويمي بامتياز، يكفل ذلك وحدة الموضوع، وانسجامه وتضامّه وتدرجه واتّساقه. بقي الملمح الثاني من ملامحه التي ذكرها؛ وهي مكونات النص الحِجَاجي الستّة المتمثّلة في: "الدعوى(أو النتيجة)، والمقدمات أو تقرير المعطيات، والتبرير، والدعامة، ومؤشر الحال، والتحفّظات أو الاحتياطات(63).

وفي الفقرة الثالثة من متن الرسالة التي تلي فقرات المقدمة وهي: "وعبتموني حين ختمت على سدّ عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، وصبي جشع، وأمةٍ لَكعاء، وزوجة خرقاء. وليس من أصل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوي في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كلّ فن، واللباب من كلّ شكل، التابع والمتبوع، والسيد والمسود. كما لا تستوي مواضعهم في المجلس، ومواقع أسمائهم، وما يستقبلون به من التحيات. وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر، ولا يكترثون له اكتراث العارف؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمّن، وأعلف حماره السمسم المقشر فعبتموني بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مِزودِ سَويق. وختم على كيس فارغ، وقال: طِينةٌ خير مِن ظِنَّة. فأمسكتم عمن ختم على لا شيء، وعِبتم من ختم على شيء "لنستخرج منها هذه المكونات منفردة على تسلسلها الآتي:

أولًا- <u>الدعوى</u> ظاهرة بيّنة، وهي العيب في (الختم) الذي لا يليق بمن هو في يُسر حياة سهل وسعة عيشه أن يقوم به، يقول به الخصوم، فيقر سهل بهذا الفعل من حيث وقوعه، ولا ينكر أنّه يفعله. وبما أن سهلًا هو صاحب الرسالة، فإنّه سيجلّي في بيان المكونات الباقية ليدحض الدعوى بعد بسطها بالدخول في المقدمات ويتابع باطّراد.

ثانياً- <u>المقدّمات</u>: يذكر الدعوى (الختم) صراحة ليكون أمينًا في النقل، لكنّه يقدّم للختم بمقدمات هي: أنّ الختم لديه ليس كأي ختم، فهو ختم على: سد عظيم، وشيء ثمين، وفاكهة نفيسة، ورطبة غريبة.

ثالثًا- <u>التبرير</u>: أما التبرير الذي يقدمه، فهو أنّ الختم السابق على قيمته العالية يكون ختماً على: عبد نهم، وصبي جشع، وأمة لكعاء، وزوجة خرقاء.

---

(62) شارودو، باتريك :**الحجاج بين النظرية والأسلوب**، عن كتاب" نحو المعنى والمبنى"، ترجمة د .أحمد الودرني، طرابلس الغرب: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص 21-50.

(63) العبد، **النص الحجاجي العربي**، ص 342.

رابعاً- الدعامة: والدعامة التي يسوقها واضحة كلّ الوضوح، وهي متمثّلة في استثارة الذهن، وإعمال الفكر، دون كدّ، والتذكير بالعرف وبما جرت عليه التقاليد في زمنه، وقد حقّقها بعباراته الآتية: وليس من أصل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوي في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، والناعم من كلّ فن، واللباب من كلّ شكل، التابع والمتبوع، والسيّد والمسود.

خامساً- مؤشر الحال: ثم يأتي هذا المؤشر الذي من شأنه أن يؤكّد صحة صنيعة فيقول فيه: وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر، ولا يكترثون له اكتراث العارف؟ ثم يزيد على ذلك قوله: من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمّن، وأعلف حماره السمسم المقشر! وكأن سهلًا هنا يقدم بعضاً من التهكّم في الموطنين؛ ففي أولهما يبين أن من سد عليهم ما سد من عظيم الخير، لم يفتقدوه !ولا يمكن لهم أن يقدروه حق قدره لو فتحه عليهم لجهل فيهم وسوء تقدير من شأنه أن يؤكّد صحة صنيعه !وفي الأخير يكون التهكّم على الذين يعيبون، فإن أراد أحدكم العدول عن صنيعي فليفعل ما يحلو له، فلعلّه يصير من الأجواد إن فعل !ولعلّه يلتحق بأهل الكرم المولّد الذي تدعون إليه!

سادساً- التحفّظات: وأخيرا يجمل في التحفّظات أو الاحتياطات، وكأنّه يكرر شأن الدعوى من الأصل، ويأتي بشاهد احتجاج من احتجاجات السلطة، متمثّل في بعض الأئمة، يتّصل بمؤشر الحال ويدعمه، ويشتمل على ما يشبه المثل السائر، فيلخّص القضية تلخيصاً بارعاً، حين يقول: فعبتموني بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مِزودِ سويق. وختم على كيس فارغ، وقال: طِينةٌ خيرٌ مِن ظِنَّة. فأمسكتم عمن ختم على لا شيء، وعِبتم من ختم على شيء. فكأنّه يتأكّد من أنّه بلغ غايته، بأن حاجج وأفحم، حين يجعل قفلة كلامه بمقابلة ما بين من ختم على لا شيء من الأئمة، وبينه هو، وهو الذي ختم على شيء خطير، أو على كلّ شيء، لبيان القيمة، فجازى الخصم على الكلام كما جازاه على السكوت، لفضح المفارقة في هذا السلوك، والمين في تلك المقابلة!

ويمكن تطبيق ذلك على جلّ الفقرات الواردة في الرسالة؛ لأن البناء الحِجَاجي لها بناء واحد، أو هو بناء متقارب إلى حد كبير، وقَصد الحِجَاج قائم في نفس المؤلّف، ومعرفته بأصول ذلك في زمنه معلوم، تحت باب الجدل الذي دار في القرنين الثاني والثالث الهجريين وازدهر.

استثمر سهل بن هارون تقنية التراكم والإلحاح – التي يقول بها كلّ من(بريلمان وتيتيكاه)- "والمقصود بها مراكمة المعلومات حول موضوع واحد، وكثرة الإشارات إلى دقائقه وتفاصيله وجزئياته، واعتماد التكرار فيه، وذلك بهدف تقوية حضوره في ذهن المتلقّي(64)،استثمرها خير استثمار وذلك باقتناصه كلّ المآخذ التي عابوه بها، فأوردها وحشدها بلفظها الذي قد يبدو مغالياً في تكراره، حتّى استنفد كلّ أقوالهم، فكشف ما فيها من تكرار حتّى قلبه إلى توكيد وتراكم وإلحاح، يفيد هو منه، لأنّه قلب المسائل قلباً على الخصوم، وأثبت أن العيب كلّ العيب، إنّما هو متحقّق فيهم هم، وماثل فيما يقولون.

يقدم الخصوم أولاً الدعوى الآتية، التي يذكرها سهل بنصّها نقلاً عنهم: "عبتموني بقولي لخادِمي: أجيدي عجنه خميراً، كما أجدته فطيراً، ليكون أطيب لطعمه، وأزيدَ في رَيْعِه. وقد قال عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه ورحمه- لأهله: أملِكوا العجينَ، فإنّه أربع الطحنتين". (65) فلسان حاله في الجواب يقول: أين العيب في قولي هذا؟ إن المحاجج لم يجد سبيلاً للرد أفضل من البحث عن شاهد مرجعي؛- وأقصد بالمرجعي هنا ما يحتكم إليه الطرفان بالمقدار ذاته، وبالاستجابة نفسها، فيكون شاهد سلطة بحسب (بيار بلاكبورن) في حديثه عن المعرفة والحِجَاج(66). وإن كنت أفضل

---

(64) العمري، محمد: **آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج**. الكويت: مجلّة عالم الفكر، 40م، ع2، 2011، ص 59-61.

(65) الجاحظ: **البخلاء**، ص 41.

(66) الدريدي، الحسني: **دراسات في الحجاج**. قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، إربد: عالم الكتب الحديث، ط1، 2009، ص 153.

تسميته بالشاهد المرجعي- يوضع أمام موقفه كالمرآة، فلم يفنّد ولم يدافع، فاكتفى بأن جاء بقول عمر بن الخطّاب المناسب للمقام. وهذا النوع من الحجج يحيل على مفاهيم قارةٍ في سياق مجمع عليه، فما عسى القوم يقولون بعد أن يقول ابن الخطّاب في هذا السياق قولته؟!

وقد عمد سهل بن هارون إلى نظائر كثيرة لهذه البينات الحِجَاجية في الرسالة، وجعل مادة استشهاده من المأثور عن الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- ، وعمر بن الخطّاب وأبي بكر الصدّيق وأبي الدرداء والأحنف بن قيس والحسن البصري وأبي الأسود الدؤلي وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وهشام بن عبد الملك وغيرهم، فهؤلاء يشكلّون بمجموعهم سلطة مهيبة، ومرجعية جليلة، ونموذجاً يحظى بالاحترام والاتّباع. ومن شأن الاستشهاد بهم، قولًا وفعلًا، أن يعدد الأصوات في سياق الرسالة، ويحقّق وجود الطرف الثالث في الحوار، وهو الذي يضمره المتحاور اللبق، بل قل يظهره على النحو الذي يراه مؤيداً له في معركته الحِجَاجية.

ولعلّ سهلًا وجد ضالّته في أحاديث الرسول في الأغلب الأعم، وهو النموذج والمثل الأعلى والقدوة الحسنة لطرفي الخصومة، ثم وجد لدى عمر بن الخطّاب ما يسعفه؛ فذكره أكثر من ثلاث مرات، لكنّه لم يذكر عثمان بن عفان مثلًا البتة، واكتفى بذكر أبي بكر الصديق مرة واحدة، فلعلّه تحاشى ذكر الكرماء والباذلين لما لم يجد لديهم ما يسند به سلوكه أو موقفه. وغالباً ما رأى في المعلّمين الحازمين ضالّته، فقال في نهاية الرسالة: "ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء"(67)؛ ليدلّل على وعيه بأهمية الاقتداء بهؤلاء، وفاعلية اللجوء إليهم من جهة الأقوال والأفعال؛ لإسكات الخصوم وإقحامهم.

ولما ذكر أبا الأسود الدؤلي تحديداً، خصّه بعبارات لم يخصّ بها أحداً غيره، فقال: "ونهى أبو الأسود الدؤلي، وكان حكيماً أديباً، وداهياً أريباً، عن جودكم هذا المولّد، وعن كرمكم هذا المستحدث. فقال لابنه: إذا بسط الله لك الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض. ولا تجاود الله، فإن الله أجود منك. وقال: درهم من حِلّ يخرج في حق خير من عشرة آلاف قبضاً، وتلقّط عرنداً من بزيم (أي أنّه استخرج من بقايا المرق عصباً غليظًا كان قد تُرك لصلابته). فقال: تضيّعون مثل هذا، وهو قوت امرئ مسلم يوماً إلى الليل" (68). فلعلّ أبا الأسود الدؤلي وحده بين من أشار إليهم سهل هو الذي يُعدّ القدوة والأنموذج والمثل الأعلى في النهج الذي يسير عليه، في هذه القضية التي تقوم عليها الخصومة، تحديدا دون غيرها ! فخصه بهذا الإطناب بالذكر، والثناء عليه بما أضفى عليه من الصفات، واقتضى ذلك منه هذا التنويه.

لذلك كلّه يمكن القول: إن الحِجَاج جنس خاص من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلّم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقياً، قاصداً إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية. وهذا ما نجح فيه سهل، وسار عليه في عموم الرسالة، فتحقّق له ما أراد.

والنص الآتي يؤكّد السمت الحِجَاجي للرسالة كذلك، ففيه تتكامل العناصر المذكورة أعلاه دون نقص: "وعبتموني بخصف النعال، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ، وأن التفرق مع التضييع. وقد كان النبي- صلّى الله عليه وسلّم- يخصف نعله، ويرقع ثوبه. ولقد لفقت سعدى بنت عوف إزار طلحة، وهو جواد قريش، وهو طلحة الفياض. وكان في ثوب عمر رقاع أدم. وقال: من لم يستحي من الخلال خفّت مؤنته، وقلّ كبره. وقالوا: لا جديد لمن لا يلبس الخلق"([69]).

---

(67) عشير، عبد السلام: **مقاربة تداولية معرفية لآليات الحجاج**، الدار البيضاء: دار إفريقيا للطباعة والنشر، ط2، 2012، ص 94.

(68) الجاحظ :**البخلاء**، ص43 .

(69) الجاحظ: **البخلاء**، ص44 .

فهو ينوع في الحجج ما بين عقلي واجتماعي وديني ووعظي، ويلوّن هذه البنيات والوقائع الخارجية في حِجَاجه، فيجمع في الفقرة الواحدة النموذج والشاهد والتمثيل والمثل معاً، فدليله الحِجَاجي من السلوك النبوي لا يدع مجالاً لمنتقد، وكذلك من السلف الصالح الأجواد والخلفاء؛ فخصف النعال وتصدير القميص، مدعاة للبقاء طويلاً، ومنفاة للكبر، ويشبه النسك، ويدلّ على الحزم والاجتماع وعدم التضييع، فكأن سهلًا لا يكتفي بإيراد الشاهد والنموذج والتمثيل من الرسول وعمر وطلحة الفياض حسب، فتراه يدافع عن موقفه وصنيعه بالحجة العقلية، فيوازن بين العقل والنقل، ويختم بقول منقول هو أقرب إلى المثل في الشيوع؛ فلا جديد لمن لا يلبس الخلق.

ولو أردنا كذلك استخلاص نماذج من أنواع الحجج الكثيرة التي يدرجها الباحثون لتوكيد هوية النص الحِجَاجي لأمكن ذلك بيسر؛ يقول صابر الحباشة: "من بين أنواع الحجج التي ننقلها عن الدارِسيَن (بريلمان وتيتيكاه):

حجّة التبرير: وأداتها (بما أنّ). **حجّة الاتّجاه:** وغرضها التحذير من انتشار شيء ما. **الحجّة التواجديّة:** تُبنى على علاقة الشخص بعمله ويمكن أن نمثّل لها بقوله (صلى الله عليه وسل): " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، إذ يمكن أن نقول بأن المتعلم، كونه شخصاً، هو في جوهره ليس فضولياً، وعمل ترك ما لا يعنيه من تجلّيات حسن الإسلام. **الحجّة الرمزيّة:** كدلالة الهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام، والصليب بالنسبة إلى المسيحية، والميزان إلى العدالة. **حجّة المثل:** إن الغاية من اعتماده حِجَاجياً هو التأسيس للقاعدة، والبرهنة على صحّتها. **حجّة الاستشهاد:** غايته توضيح القاعدة، وتكثيف حضور الأفكار في الذهن، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة"([70]).

وليكن الجهد هاهنا الآن منصبا على تتبع شواهد هذه الأنواع من الحجج، الواحد تلو الآخر، مع الاكتفاء بمثال واحد لكلّ، وإن زاد عن المثال الواحد، فهو يأتي في سياق متّصل حسب، وقد توخّينا أن نخطّ خطًّا تحت المثال، استغناء عن الشرح والتبيين؛ لوضوح ذلك:

فمن حجج التبرير، قوله: " قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلّا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلَكُم، وشهرِنَا به في الآفاق دونكم".

ومن حجج الاتّجاه، قوله: يا معشر بني تميم، لا تُسرعوا إلى الفتنةِ، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلُّهم حياءً من الفِرار. وقد كانوا يقولون: إذا أردتَ أن ترى العيوب جمةً فتأملْ عياباً، فإنّه يعيب بفضل ما فيه من العيب، وأولُ العيبِ أن تعيب ما ليس بعيبٍ، وقبيح أن تَنْهى عن مرشِدٍ، أو تُغْري بمشفِقٍ.

ومن حجج التواجد، قوله: فما كان أحقَّكم في تقدي محرمتِنَا بكم، أن ترعوا حق قَصدِنا بذلك إليكم، وتنبهنا على ما أغفلنا من واجبِ حقِّكم، فلا العذر المبسوطَ بلغتم، ولا بواجبِ الحرمةِ قمتم ولو كان ذِكر العيوبِ برا وفضلًا، لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغْلًا، وإن من أعظم الشقْوة، وأبعد من السعادة، أن لا يزال يتذكّر زللُ المعلِّمين، ويتَنَاسى سوءُ استماع المتعلِّمين، ويستَعظَم غَلَطُ العاذِلين، ولا يحفَلُ بتعمدِ المعذولين.

ومن الحجج الرمزية: قوله: وبعث زيادٌ رجلاً يرتاد له محدثًا، واشترط على الرائد أن يكون عاقلًا مسدداً. فأتاه به موافقًا. فقال: أكنت ذا معرفة به؟ قال: لا، ولا رأيته قبل ساعته. قال: أفناقلته الكلام، وفاتحته الأمور قبل أن توصله إلي؟ قال: لا قال: فلم اخترته على جميع من رأيته؟ قال: يومنا يوم قائظ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم، ورأيت ثياب الناس جدداً، وثيابه لُبساً، فظننت به الحزم.

ومن حجج المثل: قوله: وقلت لكم بالشفقة منّي عليكم، وبحسن النظر لكم، وبحفظكم لآبائكم، ولما يجب في جواركم، وفي ممالحتكم وملابستكم: أنتم في دار الآفات، والجوائح غير مأمونات. فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع

(70) حباشة، صابر: **التداولية والحجاج، مداخل ونصوص**، دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008، ص 48.

إلى بقية؛ فأحرزوا النعمة باختلاف الأمكنة؛ فإن البلية لا تجري في الجميع إلاّ مع موت الجميع. وقد قال عمر- رضي الله عنه- في العبد والأمة، وفي مِلْكِ الشاةِ والبعير، وفي الشيء الحقير اليسير: "فرقوا بين المنايا". وقال ابن سيرين (ت110 هـ) لبعض البحريين: كيف تصنعون بأموالكم؟ قال: نفرقها في السفن، فإن عطب بعض سلم بعض. ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائننا في البحر. قال ابن سيرين: "تحسبها خرقاءَ وهي صنَاع".

ومن حجج الاستشهاد، قوله: "ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء". وكان رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم – يأمر الأغنياء باتّخاذ الغنم، والفقراء باتّخاذ الدجاج. وقال: "درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك". فقسموا الأمور كلّها على الدين والدنيا، ثم جعلوا أحد قسمي الجميع الدرهم. وقال أبو بكر الصدّيق- رضي الله عنه- : "إنّي لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في اليوم". وكانوا يبغضون أهل البيت اللجِمين. وكان هشام يقول: "ضع الدرهم على الدرهم يكون مالًا". ونهى أبو الأسود الدؤلي، وكان حكيماً أديباً، وداهياً أريباً، عن جودكم هذا المولّد، وعن كرمكم هذا المستحدث. فقال لابنه: "إذا بسط الله لك الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض ولا تجاود الله، فإن الله أجود منك. وقال: "درهم من حِلّ يخرج في حق خَير من عشرة آلاف قَبضاً".

مما سبق، يتبين أن أنواع الحجج الستّة المذكورة قد جاءت جميعها في فقرة واحدة من فقرات الرسالة، حتّى لكأن سهلًا كان يصنع النص الحِجَاجي صناعة، ولذلك يعد سهل بن هارون من أبرز أساتذة الجدل في زمانه.

الخاتمة:

تناول البحث عناصر الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون إلى أبناء عمومته من آل راهبون حين ذموا مذهبه في البخل، وفيها يدافع ابن هارون عن موقفه من البخل ومن الكرم ومن الاقتصاد، وهي رسالة اتّخذت طابع الحِجَاج العقلي، تكوَّن البحث من مبحثين وعناوين فرعية لكل مبحث، وخاتمة، تناول المبحث الأول: تعريف بسهل بن هارون، والحِجَاج، وتعريفه، وآلياته، وتناول المبحث الثاني: تحليل آليات الحِجَاج في رسالة سهل بن هارون. وتبين أن الرسالة نص حِجَاجي بامتياز، لأنّها قامت في جوهرها على الحوار وبسط الحجج وتقديم الدعاوى ونقضها ببراعة واقتدار. وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

1. أنَّ رسالة سهل بن هارون نص حِجَاجي، اتّخذت طابع الحِجَاج العقلي الجدلي الإقناعي، والحوار وبسط الحجج وتقديم الدعاوى ونقضها ببراعة واقتدار لخصومه من أبناء عمة من آل راهبون.
2. اعتمد سهل بن هارون في رسالته الآليات الحِجَاجية المنطقية، أو أسس الجدل الفلسفي.
3. أثبت البحث السمات الحِجَاجية لرسالة سهل بن هارون، والتي دلّت على براعة منشئها اللغوية في باب الإبداع الأدبي، ووفائه لمنهجه الاجتماعي في الاقتصاد، واعتداده بمذهبه العقلي في الجدل ومقارعة الخصوم.

المصادر والمراجع

أولاً- المراجع بالعربية

- ابن العبري، أبي الفرج جمال الدين: تاريخ الزمان، بيروت: دار المشرق، 1986.
- ابن ذريل، عدنان: النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1989.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، الصاحبي في فقه اللُّغة، بيروت: المكتبة العلمية، ط3، 1997.
- ابن منظور، محمد بن مكرم أبو الفضل، لسان العرب، ج 4، بيروت: المكتبة العلمية، 1982.
- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيدة قميحة، بيروت: دار الكتب، ط2، 1987.
- الأزهري: تهذيب اللُّغة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط5.

- أعراب، حبيب: الحِجَاج والاستدلال الحِجَاجي: "عناصر استقصاء نظريّ"، م30، ع1، بيروت: عالم الفكر، 2001، ص 91- 98.
- بوقرة، نعمان: أضواء على نظرية تحليل الخطاب في الفكر اللساني الحديث، عمان: عالم الكتب الحديث، ط2، 2008.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البخلاء، ضبط وشرح وتصحيح أحمد العوامري وعلي الجارم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1987.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي،ط7، 1998.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1979، 1/ 173.
- حباشة، صابر: الأسلوبية والتداولية، مدخل لتحليل الخِطاب، عمان: عالم الكتب الحديث، ط1، 2011، ص 22.
- حباشة، صابر: التداولية والحِجَاج مداخل ونصوص، عمان: صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008.
- حسان، تمام: البيان في روائع القرآن، "دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنيّ"، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1993.
- الحصري، القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت543ه): زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم زكي مبارك، بيروت: دار الجيل، ط2، ج3، 1982.
- الدريدي، الحسني: دراسات في الحِجَاج. قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، إربد: عالم الكتب الحديث، ط1، 2009.
- ديكرو، أوزفالد: السلالم الحِجَاجية، ضمن لسانيات الخِطاب، "الأسلوبية، والتلفظ، والتداولية"، ط1، اللاذقية – سورية، دار الحِوار، 2010.
- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود عمر: أساس البلاغة، بيروت: دار الصادر، ط1، 1982.
- شارودو، باتريك: الحِجَاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب" نحو المعنى والمبنى"، ترجمة: أحمد الودرني، طرابلس: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط1، 1984.
- صفوت، أحمد زكي: جمهرة رسائل العرب في عصورها الزاهرة، بيروت: المكتبة العلمية، 1982، 395/1.
- صولة، عبد الله: الحِجَاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحِجَاج، ضمن أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999.
- صولة، عبدالله: في نظرية الحِجَاج، دراسات وتطبيقات، تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1،2011.
- العبد، محمد: النص الحِجَاجي العربي، جدة: مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجلد 9، ج2، 2005.
- عبيد، حاتم: نظرية التأدب في اللسانيات التداولية، الكويت: مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، م43، ع1، 2004، ص 95- 115.
- العزاوي، أبو بكر: الحِجَاج في اللُّغة، الدر البيضاء: دار الأحمدية، ط1، 2006م.
- عشير، عبد السلام: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات الحِجَاج، ط2، الدار البيضاء: دار إفريقيا للطباعة والنشر، 2012.

- علوي، حافظ إسماعيلي: الحِجَاج في اللُّغة مجالاته وتطبيقاته: إربد: عالم الكتب الحديث،ط1، 2010.
- العمري، محمد: آليات الحِجَاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج. الكويت: مجلّة عالم الفكر، 40م، ع2، 2011، ص 59- 61.
- فضل، صلاح: بلاغة الخِطاب وعلم النص، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص 38- 40.
- الفلاح، قحطان صالح: البخل في النثر العربي، مجلّة جذور، جدة: النادي الأدبي الثقافي بجدة، م 17، ع 21، 2005، ص215- 252.
- كُرد، محمد علي: أمراء البيان، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، 1937.
- كروم، أحمد: مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحِجَاجيّ لبنية الاقتضاء، م32، ع3، عالم الفكر، 2004، ص 43.
- الكفوي، أبو البقاء: الكليات، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998.
- المبخوت، شكري: نظرية الحِجَاج في اللُّغة، ضمن أهم نظريات الحِجَاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م، ص 372- 375.
- المهيري، عبد القادر، النمر والثعلب لسهل بن هارون، تونس: منشورات الجامعة التونسية، 1973، ص 1- 26.
- ولد محمد الأمين، محمد سالم: مفهوم الحِجَاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة،ط3، بيروت: عالم الفكر، 2000، ص 223.

ثانياً- المراجع بالفرنسية:

- Le petit Robert: Dictionaries de la langue. Français,1errédaction, Paris. 1999 .